

## الحلقة (١٨)

لقد وقفنا في اللقاء السابق عند قول الله عز وجل: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ آية ٢٣٨.

وقلنا إن تذييل آيات الأسرة بالدعوة بالأمر بالمحافظة على الصلوات؛ لعل هذا يشي -وهذا المفهوم من كلام الفخر الرازي- يشي على أن تلك المشكلات أو المشاكل إذا وقعت فإن علاجها الحقيقي في الصلاة، ونقول هنا ليست الصلاة التي تصلى على جهة التجربة، مثلاً شخص زعلان مع زوجته وخرج من بيته، منفعل، وتعارك مع شخص خارج المنزل، فأصبحت مشكلة داخلية وخارجية، فهذا يعتبر خطأ ولا بد أن يحصر مشكلته داخل بيته وفي حيزها ولا يعطيها بعداً آخر، هذه الزوجة يجب أن تتكلم، فإذا تكلمت وكما يقول التربويون اترك لها الدار وتوكل على الله، حتى لا تصبح مشكلات بعضها فوق بعض، يا أخي أكرم الخلق على الله سبحانه وتعالى الرسل، وكانت لديهم مشاكل بحكم الطبيعة البشرية، فلا تظن أنك صاحب المشكلة لوحده، أحد العلماء كان الناس يقبلونه ويقبلون يده ورأسه فقال في نفسه: لم امرأتي لا تقدرني؟ فقال لها كل الناس يقدروني وأنت لا تقدريني، قالت: لأنهم ما عرفوك على حقيقتك.

قد جاء رجل لأحد الحكماء ومتذمر ومعلن قيام الحروب، فسأله الحكيم ما بك؟ فقال لدي مشاكل، فقال ما هي؟ قال إني خسران في التجارة، ولدي مشكلة أيضاً مع زوجتي، والأولاد، قال له أنت ما عندك مشاكل، لكن اتجه للسوق واجلس مع غيرك من الرجال وانظر إذا كان لديك مشاكل، وذهب وجلس مع الرجال وسمع منهم فهذا خسر ماله كله، وهذا خسر كذلك، وذلك أيضاً، فقال بنفسه أستغفر الله العظيم أنا ليس عندي مشاكل، ورجع إلى الحكيم وقال له الحكيم: ماذا وجدت؟ فقال له وجدت أن لا مشكلة عندي، فإذا لو تكاشفتهم ما تدافنتهم، فإذا كل لديه مشاكل، فأول حل للمشكلة ألا يضخم المشكلة نفسها، ثم أنت مسلم فلا تدع إبليس يأخذ وضعه ويوسوس لك وبذلك تكبر المشكلة، فلذلك إذا وقعت المشكلة اذهب إلى مسجد تترتاح له، ولا تكن شخص مثاليا في جمع المشاكل، ولا تخرج للمواقع التي فيها إثارة، فأوجد لك صديق عاقل صاحب خير تترتاح له، وكذلك اذهب للصلاة التي تجد فيها التفاعل والمفاعلة، وتحس بها، فتجد أن مشاكلك تذهب ولا تجد لها أثر.

ف نجد الآية ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ كلها، والصلاة الوسطى، لاحظوا استعمال لفظ ﴿حَافِظُوا﴾ وهي تعبر عن الحفظ، ومادة حفظ هي تدل على الشدة والحفظ على الشيء، مثل المحافظة التي تحفظ أوراقك وهذا في مادة الحفظ.

حافظوا كمفردة تدل على الحرص على الشيء بشدة، ومنه المحافظة.

والوسطى تأنيث الأوسط، وهو الأعدل في كل شي، وليس المراد به التوسط بين الشيئين، لأن فُعلِي يعني وسطى أي التفضيل، ولا ينبغي للتفضيل إلا على ما يقبل الزيادة والنقص، وفي تعيين الصلاة الوسطى خلاف عريض بين أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم، ولكل وجهته، ولكل رأيه، ولكن بعض المحققين يرى أن تفسير النبي ﷺ وهو المفسر الأول للقرآن وليس بعده تفسير، بيد أن ما يشكل على الحديث: **(وأشغلونا عن صلاة الوسطى وهي العصر)** أن هناك أحاديث أخرى جاءت مبينة أن الصلاة الوسطى غير العصر، ويقصد الفجر، وسوف نعرف ذلك، وللعلماء خلاف في تعيين الصلاة الوسطى.

قال ابن المسيب: كان أصحاب النبي ﷺ مختلفين في الصلاة الوسطى هكذا، وشبك بين أصابعه، يعني كناية عن أن الخلاف خلاف قوي، ونحن نحترم هذا الخلاف ونقدره لأنه خلاف بين من شاهدوا النبي وعایشوه وشاهدوا الوحي، ومنهم من رأى جبريل عليه السلام في صورة رجل كعمر رضي الله عنه.

وأصل الخلاف الذي وقع بينهم لا يُذكر ولا يُتعرض له {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (تلك دماء نزه الله عنها أيدينا فلماذا لا ننزهه عنها ألسنتنا؟) ولأنه خلاف خاص يُحفظ ولا يقاس عليه خلافنا وخلاف غيرنا، فلذا كتب فيها كل من الدمياطي والزبيدي رسالة وبلغت الأقوال في تعيينها فوق أربعين قولاً، كناية عن أن الاختلاف كبير وقوي، إذا الصحابة اختلفوا وهم يرون الوحي أمامهم؛ فما بالك فيما من بعدهم من كبار وصغار التابعين ومن أهل العلم؟ فهذا حقيقة شيء عظيم أن تبلغ الأقوال الأربعين، وهذا ما ذكره الزبيدي صاحب تاج العروس، طبعاً تاج العروس شرح على القاموس المحيط للفيروز أبادي، فوق أربعين قولاً كما في تاج العروس وجلها أقوال ضعيفة.

تاج العروس حوى مائة وعشرين ألف مادة، وهذا أكثر ما بلغته العربية، وعند الفيروز أبادي أحسب أنها بلغت الأربعين، وعند ابن منظور بلغت ثمانين، فإذاً لأن تاج العروس متأخر وفاته لأنه متوفى في القرن الثاني عشر الهجري، فعندما أنهى كما يقول الجبرتي في تاريخه عندما أنهى هذا الكتاب الضخم جاء الكبراء والعظماء فرحين بهذا الإنجاز، طبعاً كان في القاهرة، وتهادت الملوك هذا الكتاب لأن الكتاب حقيقة لم يترك شاردة ولا واردة من اللغة إلا وأثبتها، فالكتاب لاشك أنه على درجة من المكانة، وجل هذه الأقوال أقوال ضعيفة لا يعول عليها، وأقواها قولان من الأربعين، لأن فيه بعض الأقوال قال: صلاة الظهر، وبعض الأقوال قال صلاة المغرب، وبعض الأقوال قال صلاة العشاء، وعائشة رضي الله عنها ذهبت إلى أنها الفجر، لكن تلك الأقوال ما فيها دليل فقط اجتهادات، فإذا يؤول أمر هذه الأقوال إلى قولين:

❶ القول الأول أنها العصر وهو المعتمد للحديث الصحيح الصريح، إذا الصلاة الوسطى صلاة العصر لحديث الرسول ﷺ الحديث في الصحاح: (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر) هذا هو المعتمد كما يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح.

❷ القول الثاني أنها صلاة الفجر ويلاحظ أن القول الثاني الفجر له مسوغ عقلي، فالفجر تتوسط صلاتي الليل وصلاتي النهار، فهي تتوسط الأربع صلوات الليل وصلوات النهار، طيب القول الثاني أنها الفجر وهو قول جماعة من الصحابة كعمر ومعاذ وأبي موسى الأشعري وابن مسعود وأنس وعائشة رضي الله عنهم أجمعين.

وهذا القول مع صحته عن عدد من أصحاب النبي ﷺ فلا تقاوم بقولهم النصوص النبوية الصحيحة الصريحة، التي إذا أشرق نورها غاب ما سواها، إذاً مع تقديرنا وتعظيمنا لما عليه بعض جلة الصحابة كعمر وأبي موسى الأشعري وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين لكن الدليل الصحيح الصريح من الرسول ﷺ أنها صلاة العصر، وليس بعد تفسير الرسول ﷺ تفسير، فهو المفسر الأول للقرآن الكريم، والصحابة لهم أدلتهم لا شك، قلنا لكم من حيث الدلالة العقلية يمكن تصور صلاة الفجر لأنها متوسطة بين صلاتي الليل وصلاتي النهار، فإذاً ومع ذلك فإن هذا الرأي لا يقاوم الدليل الصحيح.

قوله تعالى: ﴿قَانِتِينَ﴾ أصل القنوت الدوام على الشيء، ومعناه: في صلاتكم قوموا لربكم قانتين وأتموا لربكم قانتين.

❸ وتتم الآية هي قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ الآية ٢٣٩

❹ مناسبة المقطع الأخير للآية لما قبله:

المناسبة أنه تعالى لما أمر بالقيام له في الصلاة، طبعاً الصلاة هي التي فرضها الله عز وجل على النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، والصلاة لم تسقط في دين من الأديان، الصلاة محطة للتزود فكيف يسير الإنسان بلا زاد؟ وهي لأهميتها تحدث عنها الناس وكتب عنها الكتاب وأفرد بعضهم عنها شيئاً في ثنايا كتبهم كالمروزي تعليم قدر الصلاة وهناك آيات كثيرة تذكر الصلاة من حيث أهميتها وفرضيتها.. الخ، كل ذلك لأهمية الصلاة، بعض الناس يعجب من اهتمام بعض العلماء بالذكر بالصلاة دائماً، لأنها هي الصلة بينك أيها العبد المخلوق الضعيف وبين الله عز وجل القوي العظيم الكريم، وهي فرضت دونما واسطة ليلة الإسراء والمعراج.

وشاهدنا على أن هذه الصلاة لم تسقط يوماً في دين من الأديان كليم الله عز وجل موسى، فأخبر الرسول ﷺ، والرسول والأنبياء أبناء لعالات الأب واحد والأمهات شتى، الشريعة في أصلها واحد، ولكن الأحكام الجزئية تختلف، فموسى عليه السلام إشفافاً علينا نحن أخبر الرسول ﷺ، في البداية فرضها الله عز وجل خمسين فالرسول ﷺ وهو الرحمة المهداة وهو الرؤف الرحيم بأمته ﷺ، عندما

أخبره موسى عليه السلام بما وجده من عنت من بني إسرائيل قال له يا محمد اذهب إلى ربك فاسأله التخفيف إن أمتك لا تطيق ذلك، فذهب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ربه طالباً وراجياً منه التخفيف سبحانه وتعالى فخففت على نحو ما تعلمون خففت إلى خمس، **(هن خمس في الأداء خمسون في الأجر)** إذا الصلاة هي الفريضة الوحيدة التي لا تسقط بحال، سواء في قتال أو مرض أو لعب أو في أي مناسبة كانت فإنها لا تسقط، صحيح أن هناك بعض الخلافات في مسألة: هل أدائها في جماعة في المسجد؟ هذه تكون لظروفها وأحوالها، لكن الأصل أنها تؤدي في المسجد جماعة ولا سيما إذا كان الإمام قارئ وذا صوت حسن: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

فإذا يقول تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

فالمناسبة أنه تعالى لما أمر بالقيام له في الصلاة بين هنا بعض الاستثناءات، وذكر حالة الخوف الطارئة أحياناً، وبين أن هذه العبادة لا تسقط عن العبد بحال، ولذلك شرعت صلاة الخوف، في المعركة تؤدي الصلاة، وكما يقول ابن جرير رحمه الله: (إن الصلاة كالقصر المجوف الذي يدخله الإنسان ويخرج منه يتمنى أن لو عاد)، فهي لا تسقط لا في حرب ولا في سلم ولا في مرض ولا في عرس ومستمرة حتى مع الجنون حمانا الله وإياكم إذا يفيق أحياناً فيصلي، وكذلك الرجل الكبير في السن الحرف إذا كان يدرك الحد الأدنى فيصلي، فإذا الصلاة لا تسقط بحال.